الصراط واحد وشرائع الأمم مختلفة

فكيف ستمشي الأمم كلها على الصراط؟

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(حول تفسير سورة الفاتحة)

من الصفحة ١٩٦ حتى الصفحة ٢٠٣

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناءً على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم: كتب الإمام

تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

ولما رأى المؤمنون أنّ المنافقين قد طفىء نورهم ، صاروا يدعون الله تعالى وهم على الصراط ، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية.

والكلام على الصراط وقناطره واختلاف المارّين عليه في السرعة والبطء ذلك كله مفصل في كتابنا (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) فارجع إليه ، تجد ما ينفعك إن شاء الله تعالى.

وقد يقول قائل: إنّ الصراط الذي تمشي عليه العباد يوم القيامة هو صراط عام تمشي عليه الأمم ، وليس خاصاً بهذه الأمة المحمدية ، ولكن أول من يمشي عليه ويجتازه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأمته ، وهكذا وراء كل رسول أمته ، فمن اتبع رسول زمنه نجى ، ومن عصاه هلك ، ومن المعلوم أنّ الشرائع مختلفة في الأحكام ، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية ، فكيف يمشون كلهم على صراط واحد ، وكيف تكون المؤاخذة على التكاليف؟

فالجواب: أنّ الأديان السماوية النازلة من عند الله تعالى على رسل الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي كلها متفقة في: **الأوامر الإيمانية الاعتقادية** ، وهي: الإيمان بالله تعالى ، ووحدانيته ، وحقية عبادته وحده ، والإيمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وقضائه وقدره ، واليوم الآخر وما يشتمل عليه من حشر ونشر ، وحساب وميزان ، وثواب وعقاب ، إلى ما وراء ذلك من الأمور الاعتقادية.

قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ

إِلَيْكَ﴾ ـ أي: يا محمد يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾.

قال مجاهد في هذه الآية: أوصيناك يا محمد ونوحاً ومَن بعده مِن الرسل عليهم الصلاة والسلام ديناً واحداً.

والمعنى: شرعنا لكم يا أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة رسولكم ما قد شرعناه للرسل مِنْ قَبْلُ، ديناً واحداً من حيث الأصول الإيمانية الاعتقادية؛ من التوحيد وسائر العقائد.

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾.

وقال تعالى ـ مخبراً عن عيسى عليه السلام ـ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

فجميع العباد أمرهم الله تعالى بالسير على هذا الصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

لأن العقائد الإيمانية هي مشروعة للكل، وفي هذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «الأنبياء إخوةٌ أبناء علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

وأما الأصول التعبدية فهي أيضاً مشروعة للكل كالصلاة والزكاة ونحوها، وقد ذكر الله تعالى لنا في القرآن الكريم في جملة ما أوحى إلى سيدنا إبراهيم الخليل، وإلى الأنبياء من ذريته على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

وهكذا الصيام هو مشروع في جميع الشرائع ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه ، عن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أنْ يعملوا بها ، وأنْ يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، وإنّه ـ أي: يحيى عليه السلام ـ كأنّه كاد أن يُبطىء بها ـ أي: بتبليغها ـ.

فقال له عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: إنّ الله تعالى أمرك بخمس كلمات أنْ تعمل بها ، وأنْ تأمر بني إسرائيل أنْ يعملوا بها ، فإما أنْ تأمرهم بها وإما أن آمرهم أنا بها.

فقال له يحيى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام: أخشى إن سبقتني بها ـ أي: بتبليغها ـ أن يُخسف بي وأعذَّب.

فجمع يحيى عليه السلام الناس في بيت المقدس ، فامتلأ المسجد ، وقعدوا على الشُّرف.

فقال يحيى عليه السلام: إنّ الله تعالى أمرني بخمس كلمات أن أعمل بها ، وأنْ آمركم أنْ تعملوا بها:

أوّلهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً؛ فإن مثل ذلك ـ أي: مثل من أشرك بالله تعالى ـ كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله

بذهب أو وَرِق ـ أي: فضة ـ وقال: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إليَّ، فكان ـ العبد ـ يعمل ويؤدي إلى غير سيِّده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك.

وإنّ الله تعالى أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإنّ الله تعالى ينصب وجهه لوجه عبده ما دام في صلاته ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام فإنَّ مثل ذلك: كمثل رجل في عصابة ـ أي: جماعة ـ معه صرّة فيها مِسك، وكلهم يعجبه ريحها، وإنّ ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة فإنّ مثل ذلك: كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه، وقدّموه ليضربوا عنقه، فقال لهم: أنا أفدي نفسي منكم بالقليل والكثير؛ ففدى نفسه منهم.

وأمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك: كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، وكذلك العبد لا يُحرز نفسه ـ أي: لا يحفظ نفسه ـ من الشيطان إلا بذكر الله تعالى...» الحديث.

ومن هنا يتبين لك أنّ الصلاة مشروعة في جميع الأديان، ولكن تختلف كيفياتها وأعدادها وأوقاتها، وكذلك الزكاة هي مشروعة في جميع الشرائع السماوية؛ ولكن تختلف مقاديرها والكميات المالية التي تجب فيها الزكاة، وهكذا الصيام هو مشروع في جميع الشرائع الإلٰهية؛ ولكن تختلف أوقاته وعدة أيامه.

وهكذا أصول العبادات متفق عليها، ولكن تختلف مقاديرها وكيفياتها.

كما تختلف الشرائع الإلهية في بعض الأحكام ، وذلك لأن الأحكام والأوامر الإلهية هي صادرة عن حكمة ربّ العالمين ، فجاءت شرائع الله تعالى نُظُماً إلهية صادرة عن علمه وحكمته ، فيها مصالح العباد والبلاد ، وفيها سعادة الدنيا والآخرة ، وكرامة الدنيا والآخرة ، وهذا قوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ .

فشرائع الله تعالى هي مناهج إلهية ، ضامنة لجميع المصالح البشرية ، كافلة لجميع الكمالات الإيمانية الإنسانية ، وكلها متفقة على توحيد الله تعالى ، وعلى جميع الأصول الإيمانية ، كما أنّها متفقة على أصول التشريع الإلهي الذي تتوقف عليه مصالح العالم ، ونظام حياته الفردية والاجتماعية، ويدلك على هذا قول الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، فإن قوم نوح عليه السلام كذبوا نوحاً الذي أرسل إليهم، في حين أنّ الآية تخبر أنهم كذبوا المرسلين كلهم .

نعم إنّ تكذيبهم المرسلين باعتبار إجماع كل المرسلين على توحيد الله تعالى، وأصول الإيمان ، وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ، بل هي مصالح أساسية ضرورية لجميع الطبقات البشرية؛ وهذا كما قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وكما قال تعالى في قوم ثمود : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وقوم لوط : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وإنما اختلفت شرائع الرسل في بعض فروع الأحكام الشرعية المنوطة مصالحها باختلاف الأزمنة والعصور ، وجميع ذلك صادر عن علم الله تعالى ، وحكمته في تشريع الشرائع التي فيها مصالح العالم ، والله عليم حكيم في تشريعه وأحكامه ، فإن كل حكم

شرعه سبحانه هو صادر عن حكمته ، وهو إليه المنتهى في العلم والحكمة ، وليس لهما انتهاء.

وهذا معنى ما جاء في الحديث الشريف أنّ الأنبياء إخوة أبناء علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد.

روى الشيخان ، وأبو داود وغيرهم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي ، والأنبياء إخوة أبناء علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

والإخوة إذا كانوا لأب واحد وأمهاتهم شتى فهم أبناء علات.

وقد ختم الله تعالى الشرائع والأديان بأكمل الشرائع وأجمعها لمصالح العباد ، وأنفعها ، بحيث لا تحتاج إلى تبديل ولا تغيير على مدى العصور ، وامتداد الدهور ، واختلاف الأمم والأجيال ، ألا وهي شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، خاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فالأصول التشريعية التي يتوقف عليها صلاح الدنيا والآخرة ، وصلاح العباد والبلاد: أفراداً وجماعات هي مشروعة في كل الشرائع ، ولكن أكملها تشريعاً ، وأجمعها هدياً وإصلاحاً ، وأعَمَّها نفعاً ، والتي هي صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان ، ولكل أمة على وجه الأرض إلى يوم الدين ؛ هذه شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، صاحب الرسالة العامة ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، فلا نبي بعده ولا رسول ، إذ لا حاجة إلى رسول بعده يأتي برسالة جديدة؛ لأن رسالته صلى الله عليه وآله

وسلم هي الكافية للكل ، والكافلة لمصالح الكل ، فأصول الشرائع متفق عليها كما تقدم.

وتسمى هذه الأصول **بالكليات الستة** على سبيل الإيجاز ، وهي مجموعة في قول العلامة اللقاني رحمه الله تعالى:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب

ومثلها عقل وعرض قد وجب

فهذه الأمور الستة متفق عليها في جميع الشرائع الإلّهية ، وقد تسمى الكليات الخمس بناء على إدخال حفظ النسب في حفظ العرض.

فالأول حفظ الدِّين: وهو ما شرعه الله تعالى لعباده من العقائد والأحكام ، وذلك بالمحافظة عليه وصيانته ، وهذا يقتضي البعد عن المكفرات بأنواعها.

الثاني حفظ النفس: فهو مشروع للكل ، لما في ذلك من حقن للدماء ، فلا يجوز في جميع الشرائع قتل نفس ، ولا قطع شيء من أعضائها بغير حق شرعي ـ ولذلك شرع الله تعالى القصاص.

الثالث حفظ المال: فهو مشروع للكل ، فكل ما يملكه الإنسان شرعاً فإنه محفوظٌ لصاحبه ، فلا تجوز السرقة ، ولا النهب ، ولا الغصب في جميع الشرائع ـ ولذلك شرع الله تعالى حدّ السرقة.

الرابع حفظ النسب: فلا يجوز الزِّنى وما يجرّ إليه ، وقد شرع الله تعالى في جميع الشرائع حدّ الزنى.

الخامس حفظ العقل: ولذلك شرع الله تعالى حدّ السُّكْر.

السادس حفظ العرض: وهو موضع القدح والمدح ، فلا يجوز

القـذف ، ولا القـدح في الإنسان بغير سبـب شرعي ، فالقـاذف يُحدّ ، والقادح يُعزّر ويؤدِّبه الحاكم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ في مناسبات متعددة ، ويوم حجة الوداع ـ: «ألا وإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، ألا هل بلّغت ، ألا هل بلّغت».

فكل أمة تمشي على الصراط ورسولها أمامها ، وتكون مؤاخذتهم على حسب تكاليفهم ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته» لأنه صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الهدي الجامع ، وشريعته جامعة للخير العام لجميع الأنام ، ولذلك كانت فاتحة خطبته صلى الله عليه وآله وسلم: «أما بعد: فإنّ أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وشرّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة».

ومن هنا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كان موسى حَيّاً لَما وسعه إلا أن يتّبعني».